د. عمّار عثماني - المركز الجامعي غليزان - الجزائر
48amarradio@gmail.com

بلاغة الإيتوس في الخطاب السياسي الجزائري
مقاربة حجاجية لنماذج مختارة

Aetos eloquence in the Algerian political discourse
Pilgrim approach to selected models

Date de soumission / تاريخ الاستقبال	Date d'acceptation /تاريخ القبول
27.03.2019	02.06.2019

Date de publication / تاريخ النشر

20.11.2019

ملخص

يروم المقال محاورة الخطاب السياسي الجزائري، ويحاول أن يقدم مقاربة حجاجية، يفحص من خلالها الصورة الخطابية التي يظهر بها الساسة في كلّ تواصل متميّز بالتوتر، ويدفع إلى المحاججة. وإنّ هذه المقاربة استفادت مما قدمته المكتبة اللسانية الحجاجية ومقولاتها في تكوين الإيتوس. حيث مكننا هذا العمل من معرفة الصفات الضرورية التي ينبغي أن يتقيد بها السياسي، من خلال التصوّر الذي قدمه اللسانيون على غرار بيرلمان، وباتريك شارودو، وسوزان كلاين، الذين ناقشوا في أبحاثهم قضية الخطيب السياسي ومما ينبغي أن يظهره الفعل الحجاجي، وبالتالي سمح هذا المعطى المعرفي من تشريح الواقع السياسي الجزائري، وبالأحرى الصورة الخطابية عند السياسين، حيث كان اختيارنا على بعض النماذج التي رأينا فيها فعل حجاجي قويّ؛ لأنّها تعلقت بقضايا حساسة تهمّ المجتمع الجزائري برمته.

الكلمات المفتاحية

بلاغة- التأثير- الخطاب السياسي- السامع.

Abstract

The article deals with the discourse of the Algerian political discourse, and tries to present a pilgrimage approach, examining the rhetorical image of the politicians in each communication characterized by tension, and push to argue. This approach benefited from what the Library of the Haggian language and its arguments presented in the formation of the Atos. This work enabled us to know the necessary qualities that the politician should adhere to, through the vision presented by the Lassans, such as Perleman, Patrick Scharudo, and Susan Klein, who discussed in their research the issue of the political fiancé and what should be shown in the Pilgrim act. Knowledge of the political reality of Algeria, and rather the rhetoric of the politicians, where our choice on some of the models that we have seen a strong pilgrimage, because it concerned sensitive issues of concern to the Algerian community as a whole.

key words

- Rhetoric -Political discourse - the listener - the influence.

توطئة

يتميز الخطاب السياسي بحيويته؛ ذلك أنّه محفل لتجسيد قوى متعارضة، همّها الوصول إلى السلطة، ومن ثمّ فإنّ الذوات المتكلمة تسعى دوما للحصول على إذعان السامع، ومصداقيته، فيما تنتجه من خطابات، الفارق بينها، إحداها تتمركز في الدفاع؛ حفاظا على السلطة، والأخرى تؤدي دور الهجوم للوصول إلى افتكاك تلك السلطة، وكلاهما يحاولان التأثير في السامع دوما، بغية مشاركتهما في تأدية ذلك الدور من جهة، ومن جهة أخرى الحصول على الشعوبية التي تصنع الفارق في أيام الحسم.

وانطلاقا من هذا المعتقد فإنّ الخطيب (الذات المتكلمة) يعدّ من أهم الفئات الاجتماعية، يسهم بشكل كبير في بناء الدول والمجتمعات؛ ويملك دورا حيويّا في تحقيق الأمن بمختلف مجالاته وتخصصاته، كالأمن الثقافي والديني، والاجتماعي، وهلمّ جرا.

والإيمان بتقوية دور الخطيب لأمر ضروريّ في حياتنا العصرية، بغية التخلص من بعض المشاكل أو الآفات التي تنخر جسد المجتمع، يتحدث عنها المتشدقون في صناعة الكلام، وتكتب عنها أقلام الصحافة، غير أنّ المتأمل في صورة الضجيج المحدث من جراء ذلك الكلام أصبح يكرر في كل مناسبة، ترمي للحدث عن هذا الموضوع وذاك، دون تحقيق للحلول المطلوبة في إصلاح المجتمعات.

ارتأينا في هذا المقام أنّ نقدّم وصفة من شأنها تحديد صفات الخطيب في مواجهته لمختلف الأزمات، وكيف ينجح هذا الخطيب في الحصول على إذعان السامع، وقبول ما يتحدث عنه، تحقيقا للمشاركة في مواجهة الأزمة من جهة، وخلق حلول واقعية، يكون المجتمع طرفا أساسا لتحقيق نهضته وغفلته من بعض المواضيع التي تشكل عائق الراهن.

كيف ينبغي أن يكون الخطيب ؟

إن قصدنا بالخطيب لا يرتبط بالواعظ الديني فقط، وإنما يشمل صانع الكلام، منشد التأثير والإفهام؛ فيكون الخطيب موصوفا لصفة متعددة في مجالات متنوعة، في السياسة والإعلام، والدين.

وصورة الخطيب، أو تقديم ذاته في الخطاب أمر مهم لإنجاح أيّ فعل كلاميّ، ومن الضروري أن يرتبط إنتاج الكلام بالذات المتكلمة، فلا نتخيل أن نقبل كلاما وعظيا من شخص متميّز بسمعة سيئة، ومهما أجاد في خطابه، فلن يكون إلاّ منفرا من سامعيه. وقد ناقش اللغويون صلة الخطيب بخطابه، يقول باتريك شارودو: " بمجرد أن نتكلم يتجلى جزء من وجودنا عبر ما نقوله، ولا علاقة لهذا بموقفنا الإيديولوجي أو بمحتوى فكرنا أو برأينا،

ولكن ذو صلة بعلاقتنا بذواتنا التي نعرضها على إدراك الآخرين"(01)، ومن ثمّ فإنّ انصهار الذات في الخطاب إنتاج طبيعي، يتجلى في الكلام، والسامع الحاذق يكشف صورة المتكلم من خلال كلامه، ولهذا فإنّ بعض الخطباء يتأنقون في مقامات لخداع السامع الذي لا يعرف صورته سوى مما قاله وخلص تفكيره إلى رسم صورة ذاك الخطيب.

والوعي الحجاجي لدى المتكلم يظهر في مرحلة الانطلاق في إنتاج الكلام، أو تحقق المخاطبة والمحادثة، وهو ما يمكن أن يسمى بقول الانطلاق، " الذي يتشكل في صيغة ملفوظ يمثل معطى انطلاق موجّها إلى الحث عن قبول قول آخر يقوم مقام المبرر لذلك المعطى في حركة معاكسة"(02) .

كينونة ذات الخطيب في خطابه لها الأهمية في تحقيق التأثير، فالخطيب السياسي مثلا لن ينجح في استمالة السامعين ما لم يبني صورته الذاتية في تعارض مع صور آخر، سواء أكانت تتعلق بشخصه أم بأشخاص آخرين يواجههم ويروم التفوق عليهم؛ ذلك أنّ بعض الحوارات التلفزيونية تفضح صورة المتحاور (السياسي)، الذي يتعرض إلى قدح المجتمع، عندما تكون أطماعه تشكل عائقا وسلطة أمام القضايا التي تشكل تكتل شريحة عريضة من فئات المجتمع، فمن المفروض أن التفوق هو الذي ينشده الخطيب في حياته السياسة، ويلزم عليه ذلك أن يختار القيم ومما هو مشترك، إلا أنّه تراه في إجابته يسير خبط عشواء؛ لأنّه لا يريد أن يقول الحقيقة، أو على الأقل يقدم شبه الحقيقة، فيراه المشاهد مفضوحا، وضعيفا، ومتّهما.

إنّ الإقناع المنشود عند الخطيب السياسي من وجهة نظر أرسطو لن يتأتى إلاّ "بالأخلاق إذا كان كلامه يلقى على نحو يجعله خليقا بالثقة (...) وهذا الضرب من الإقناع، مثل سائر الضروب، ينبغي أن يحدث عن طريق ما يقوله المتكلم، لا عن طريق ما تظنه الناس عن خلقه قبل أن يتكلم"(03). ومعنى ذلك أنّ الخطيب وإن تنكر وتأنق بتكلف إلاّ أنّ في خطابه علامات مبثوتة تُصوّر شخصيته، فالاستخلاص والمتابعة الذكية لأيّ خطاب قد تفضح صاحبه. وهو ما يمكن أن يرسمه المشاهد حول صورة رئيس حزب الكرامة " محمد بن حمو "، في الحصة الأسبوعية التي تبثها قناة الشروق تحت مسمى " وجادلهم"، فالأسئلة المطروحة من قبل الصحفي " قادة بن عمار"، وإجابة ضيفه، صنعتا ذلك الخلاف الموجود في كثير من القضايا الراهنة ، في إثارة موضوع خطير " ظاهرة الحرقة"، ورغم أنّ الصحفي كان يراها من أسبابها: الحرمان، والحقرة، والبطالة، على حدّ قول المختصين، إلاّ أنّ ضيفه ركب حقل المغالطة؛ ومراده انتفاء تلك الأسباب في الإشارة إلى أنّ من مسته ظاهرة الحرقة منهم

المحامون والأطباء، وهي العلامات التي كونت للمشاهد صورة عن هذه الشخصية السياسية، وتركت انطباعًا في النفس(04).

والملاحظ أنّ الحوار الصحفي أوقع " محمد بن حمو " في عيب أخلاقي؛ ذلك أنّ الحجة التي استند إليها ليثبت أنّ ظاهرة " الحرقة" مغامرة، لما قال في مضمون كلامه: " أنا شخصيا لما أنهيت دراستي الجامعية، كنت ميسور الحال؛ أملك سيارة، وبيتا، وعرض عليّ منصبا "وكيل الجمهورية"؛ غير أنّي اخترت أن أواصل حياتي في فرنسا"؛ وكأنّ هذه الحجة أتي بها "محمد بن حمو "كدليل بأنّ الذين يغامرون في" الحرقة " عبر البحر، منهم المحامون، والأطباء، وهو بذلك أراد أن يفند الأسباب المشتركة التي يدّعيها المجتمع في ركوب موجة الحرقة.

فهو في حجته، مَدَحَ ذاته، وهذا عيب أخلاقي ينجر عنه فهم سيء لا يكون في مصلحته، ومن ثمّ فإنّ ديكرو يؤكد على أنّ " الأخلاق التي يصلها الخطيب بذاته بوساطة الطريقة التي يمارس بها نشاطه الخطابي. لا يتعلق الأمر بمديح الذات الذي قد تترتب عليه نتائج عكسية تصدم السامع (...) اختيار حجة أو إهمالها يمكنهما أن ينمّا على مزية أخلاقية أو عيب أخلاقي"(05).

إنّ مدح الذات بهذه الطريقة التي عرضها "بن حمو" قد انجر عنها تلك الاستنتاج، ويمكننا أيضا أن نفهم من جهة أخرى أن رئيس حزب الكرامة أراد أن يسوق لنفسه صورة أخرى، لما وجد في المجتمع مَنْ يطعن في شخصيته، ولا يعطي لها اعتبارًا، وأنّه يملك تلك الثقافة المزدوجة (دراسته في الجزائر وفرنسا) التي تؤهله للنظر في قضايا المجتمع (إشارة إلى المستوى العلمي)؛ "لأنّ السياق الحجاجي يفرض أحيانا على المتكلم أن يتحدث عن ذاته أو يصفها ويثني عليها، وخاصة إذا كانت صورته في السياق الخارجي قد تعرضت لما يشكك في قيمتها"(06).

الخطيب السياسي لا بدّ أن يكوّن لنفسه ما يسمى بـ " الصورة الخطابية"، التي يظهر به في محادثته، وخطاباته السياسية اتّجاه القضايا التي تهمّ الرأي العام، ولكنّ لا ينبغي أن تكون تلك الصورة منفصلة عن ما يريده المجتمع؛ لأنّ الاختلاف يضرّ بالدرجة الأولى مكانة هذا السياسي، الذي يسعى دوما إلى اقتناص المناسبات التي تسمح له بتوسيع شريحته، ومن يتعاطون معه نفس الرؤية؛ ولهذا ترى روث أموسي أنّ المتكلم لا يمكنه أن يحدث ويتجلى بوصفه ذاتا إلا في علاقته بالآخر(07)، وهذا الكلام يمكن فهمه أنّ علامات خطاب المتكلم تتماشى مع مراد السامع، فالخطيب الجيّد يسعى دائما إلى أن يظهر مسكونا بروح سامعه؛

فالشخصية السياسية التي مثلنا فيما سبق، شخصية "محمد بن حمو"، رئيس حزب الكرامة في حوارها ، في حصة "وجادلهم"، ظهرت بصورة العالِم المفسر، وهي في غنى عن أداء هذه الوظيفة؛ لأنّ ظهوره الإعلامي كان سياسيا بامتياز، وكان عليه أن يستغل روح السامع وتفسيره لظاهرة " الحرقة"، حتى يسايره، حتى لا تأخذ عنه صورة "المحامي" عن جهة متهمة في ذلك، رغم أنّ حضوره السياسي في تكوين تلك الجهة يكاد يكون منعدما.

رئيس حزب الكرامة ظهر في الحوار التلفزيوني بصورة المدافع، ولهذا ناشد التأثير والإقناع، وكان عليه أن يحاجج في سياق إنساني اجتماعي، متناسيا بأنّ سلطة المحاججة تعود في هذا المقام إلى تصوّر المخاطَب، المسندة إليه مهمة توجيه الحوار والتحكم في بناء هوية المتكلم، فظهر الفارق واضحا بين ما يريده السامع في هذا الحوار، وشخصية " بن حمو"، وفي هذا الموضع لن يستطيع أي سياسي تحقيق الإقناع؛ بل إنّه يظهر فاشلا، ممّا يؤثر على مستقبله السياسي.

لا يمكن إهمال دور المقام في تحديد هوية شخص الخطيب، ورسم صورته؛ لأنّ الخطيب السياسي ينبغي أن يتمتع بالذكاء الذي يسمح له استغلال طبيعة المقام، في تشكيل صورته أمام الرأي العام (السامع). فعندما يكون المقام يخص ظاهرة تكاد تشكل المقاربة فيها شبه الإجماع فإنّ السياسي لا يحقّ له النفور من هذا المقام، لإنشاء مقام آخر يتماشى مع أهوائه. وهو ما توصل إليه المشاهد، في الصورة التي عرض بها " محمد بن حمو" شخصه أمام الكاميرا، ومن ثمّ فإنّ اللسانين يرون صفات الخطيب أو مظاهر الإيتوس غير محدّدة، بل هي وليدة مقامات وأنواع الخطاب. ووفق هذا الحال كان أن على شخص رئيس حزب الكرامة أن يظهر بمظهر آخر غير الذي أنشأه في تلك الحوار؛لأنّ ما يهمّ في الحجاج ليس معرفة ما يراه الخطيب صحيحا أو مقنعا، ولكن معرفة رأي من يتوجّه إليهم هذا الحجاج(08) .

إنّ ظهور الخطيب بصورة الصادق لأمر مهمّ يخدمه، ويجعله جديرا بالثقة، وأهلا للتصديق، لن يتأتي ذلك إلاّ من خلال ما يقوله؛ ولهذا لا بدّ للقول أن يكون مطابقا لما يفكر فيه، وأن يكون قادرا على الإنجاز والوفاء بما يعد به. وتحقيق ذلك تتطلب شخصية الخطيب أن تظهر بالجديّة،و الفضيلة، والكفاءة. فلا نتصور سياسيا في حملة انتخابية يرفع شعار "القضاء على البطالة" مثلا، وهو لا يحمل برنامجا، ولا يقدم مؤشرات واقعية تسمح له بتحقيق التصديق عند السامع، فغياب شرط الكفاءة يضع صورة ذاك الخطيب محلّ سخريةٍ وتنكرٍ. وكثير من أصناف هذه الشخصيات السياسية التي يراها الرأي العام تخطب هنا وهناك، دون وجود علامات لغوية، تُجسد واقعية الخطاب، وتُظهر صدقهم، وبالتالي يكونون بعيدين عن الجدية والفضيلة المطلوبتين في صفات الخطيب.

ومن هذا المنطلق تفيد البلاغة المحلّل السياسي، في تقديم تحليله للرأي العام، اتّجاه الآراء والمواقف، التي يصنعها الساسة؛ فالمحلل البلاغي ينبغي معرفة صورة الخطيب أو الإيتوس من خلال الزوايا الآتية (09):

- أن يتجسد ذلك في شكل مفهوم عام بشكل طبيعي في أيّ خطابٍ.
- أن يجده في استراتجية يقصدها المتكلم في خطابه؛ لأجل الإقناع.
- أن يدلّ على ذلك من خلال السمعة التي يحظى بها الخطيب خارج سياق التواصل (الإيتوس الجاهز).
- أن يدل على ذلك في الصورة الذاتية التي يرسمها المتكلم لنفسه.
- وقد تكون من الاستنتاج الذي يصل إليه المتلقي من خلال علامات الخطاب المختلفة.

وبناء على ذلك، فإنّ النظر المتأمل في هذه الزوايا يسهم المتقبل للخطاب السياسي من رسم صورة الخطيب (الإيتوس)، يتعرف عليها، ويتعامل وفقها مع الخطيب ومدى نجاعته في الحصول على التصديق، أو أنّ صاحب الصورة آل إلى الفشل، ولم يمكنه اجتهاده في تحقيق مبتغى خطابه.

وهذه الزوايا التي يبحث فيها المحلل البلاغي عن مبتغاه فيما يريد أن يرسمه الخطيب، وبالتالي لا بدّ عليه أن يظهر بالصورة اللائقة، التي تخدمه، في سبيل إذعان خصمه، والوصول إلى قلب السامع، والهدف المشترك بين المتنافسين.

أطروحة سوزان كلاين في مواجهة مشكلة "الهوية في الخطاب"

إنّ هذه الصورة الخطابية التي نبحث عن خصائصها، يراد بها الهوية التي يظهر بها المتكلم في خطابه، وقد آثرت سوزان كلاين إشكالية الهويّة، وترى أنّ الخطيب تعترضه ستّ صعوبات، نجملها في الشكل الآتي(10):

- شعور المحاج بتجاهل الخصم، ولا يعترف بآرائه، ويقلل من قدرته الفكرية، وقيمته الذاتية.
- يضطر المحاج إلى تغيير موقفه بداعي قبول حجة الخصم، ممّا يظهره في صورة متناقضة.
- يدعي المحتاجون صورتين متنافرتين في نفس الآن، صورة الجدارة بالثقة، والرغبة في حصيلة مقبولة تبادليا، وصورة الثبات أو الرغبة في تجنب تقديم التنازل.
- نجاح المحاج لا يتوقف على قبول حجة الخصم وإنّما أن يكون الاتّفاق بين المعتقد والصورة الذاتية.

- الفارق في الحجج مرتبط بهوية المحاج وصورته الشخصية.

المحاج مطلوب منه أن ينشئ أوضاعا جديدة لدى الخصم.

إنّ هذه المشاكل التي تعترض رسم صورة مقبولة للمحاج، تتطلب منه التفوق عليها، وإيجاد حلول لها، حتى يحصل على الإقناع والتأثير، وحتى لا تكون صورته محل سخرية وفضح في أوساط السامعين، يستغلها الخصم في حساباته السياسية، مما يستوجبه (المحاج) أن يكون على دراية بالمشاكل أولا، وإيجاد حلول لها ثانيا.

ويمكننا أن نمثل لهذه الحالة بما وقع للناطق الرسمي لحزب جبهة التحرير الوطني، حسين خلدون، عندما وجد نفسه في مأزق، بين تصريحه القائل بعدم جدوى عقد ندوة وطنية للنظر في طلبات فيما سميّ بالحراك الشعبي، وتصريحه منسق الهيئة، معاذ بوشارب بضرورة تمسك حزبه بالندوة الوطنية كخيار لحلّ مشاكل الراهن، حيث وفي نزوله ضيفا على حصة الحدث التي تبثها قناة الشروق الجزائرية، نراه يحاول رسم صورة مقبولة لنفسه، حتى لا يدخل المحاججة التي جمعته مع الناشط الحقوقي مصطفى بوشاشي بكلّ قوة، وأن يحاول إضفاء قوة لخطابه، حتى يكون مقبولا، بعدما وجد نفسه في حالة الضعف (نفي تصريحه من قبل رئيسه).ليستخلص في الأخير أنّ تصريحه يمثل رأيا شخصيا وليس له علاقة بحزب جبهة التحرير الوطني(11).

لقد قدمت سوزان كلاين أطرحتها أو بالأحرى تصوّرها من أجل خلق حلول واقعية في سياق التواصل لمشكلة الهوية (الصورة الخطابية).

إنّ للمحاج هويّة سياقية، أو بمعنى أخر، صورة خطابية، يملكها خارج السياق التواصلي، والمطلوب منه باعتقاد سوزان بأن يفاوض ويثبت باستمرار؛ ليحصل التوافق بين أداء المحاج وهدف خصمه. وبالتالي فعلى المحاج أن يظهر موقفه منسجما مع الصورة الذاتية لمحاوره؛ إذ يعمل على تغيير الصورة التي يملكها الخصم عنه.

وكأنّ هذا التصور يرمي إلى ضرورة أن يستفيد المحاج من صورته المشهور بها، فهو في أيّ فعل حجاجي تكون صورته هي المستهدف الوحيد، وبالتالي عليه أن يبحث عن التوافق في مستهل المحاججة، بيّن فيه أنّ هناك رؤية مشتركة، أو صورة واحدة مع الخصم اتّجاه الفعل الحجاجي، ومن ثمّ فإنّ ظهوره يكون في صورة الصون عن هويته. وهذا يصدق على الساسة في مقام الخصم والجدل، تراهم يتحاججون في بداية الحوار، وهو ما لا يخدم صورة المحاج عند السامع.

رئيس المنتدى العالمي للوسطية في الجزائر، أبو جرة سلطاني، في حواره مع قناة الحياة الجزائرية، حاول أن يحفظ على هويته، عندما وجه له الصحفي سؤالا، مفاده: هل تلقيت دعوة من الجامعة العربية للمشاركة في الصلح، في اليمن، فردّ سلطاني بصورة الغاضب، الرافض للسؤال، الذي رآه تهمة، موجهة له؛ إذ خاطبه بالتأكيد على أنّه وزير دولة، ولا يمكن له أن يتلقى هكذا دعوة، دون المرور على القنوات الرسمية الممثلة للدولة، فالذي يتأمل هذا الخطاب يرى أنّ رئيس حركة مجتمع السلم السابق، أراد أن يستغل هذا الفعل الحجاجي، للردّ على خصومه، من يعتقدون أنّه بعيد عن أهل الحلّ والربط من جهة، وأنّه يريد تبيض صورته في ظلّ الاتهامات التي وجهت له، في خضم تأسيسه للمنتدى العالمي للوسطية، ومن أهمّها أنّ المنتدى يعمل بعيدا عن أعين الدولة، وغير ذلك مما لم يستصغه أبو جرة، وما فهمه من سؤال الصحفي هابت حناش(12).

وبناء على ذلك فإنّ المحاج ينبغي له المحافظة على صورته، غير أنّه أمر صعب، حفاظا على وجه النظر اتّجاه موضوع المحاججة، وهذا يفرض على المحاجين "أن يقرروا تجنب الخلاف كليا، ويمنعوا أي ضياع للفرصة، أو يقدموا وجهات نظرهم بكيفية مباشرة، بالرفع من الوضوح والفعالية، أو بكيفية غير مباشرة؛ أو بواسطة استراتجيات تهذيبية خاصة تعوض صورة الخصم الضائعة، وتوصل إليه الإحساس بالاستحسان"(13).

غير أنّه في بعض النقاشات السياسية التي تنتج خطابا متميزّا بالخلاف كليا، نجد أنّ بعض الأشخاص (المحاجين) لا يكترثون بمنطق المحاججة، وتطبيق توصية سوزان كلاين، ويتضح ذلك في الحصة التي تثبت أسبوعيا على قناة النهار الجزائرية، " قضية ونقاش"، عندما اختتمت الحصة بعنف لفظي، وغضب، وخروج أحد المحاجين من الحصة؛ لأنّ الملاحظ يدرك أنّ المشاركين لم تكن له نيّة في تجنب الخلاف، في عزّ الأزمة السياسية، نتيجة تبني سياسة الإقصاء التي لم يتقبلها الطرف الأخر (المحاج)(14).

حلّ مشكلة الصورة الخطابية أو هوية الشخص أثناء حجاجه يتطلب خلق أرضية مشتركة، وهذا الخلق يكون في شكل ادّعاء؛ لأنّ الاتّفاق يجعلنا أمام صورة واحدة، أو رأي واحد، لا يفيد فعل المحاججة في أيّ شيء، ومن ثمّ فإنّ كاترين سوزان ترى أنّ قضية الهوية حلولها في الملكات اللسانية التي يتوفر عليها الخطيب، تواصلا مع خصمه من جهة، ومع السامع من جهة أخرى، فالمحاج يكون دائما في موقف الذي يشيع رغبات السامع، وتجنب إكراهه، ويمكننا التمثيل لذلك بهوية السياسي المعارض الذي يبحث دائما أن يثير القضايا التي يحللها السامعون حسب اعتقادهم، كأن تسند مشكلة البطالة إلى التسيير، وأنّ سبب

السكن في التوزيع، وأنّ البلاد بخيراتها ينبغي تنعدم فيها البطالة، وغير ذلك؛ فالمحاج إذا لم يركب تفسيرات المجتمع اتّجاه القضايا الشائكة لن يحصل على الصورة أو الهوية المطلوبة، وبالتالي يدخل قفص الاتّهام.

وينبغي للمحاج أن يخلق أوضاعا جديدة للاعتقاد والعمل لدى الخصم، للوصول إلى الاتّفاق؛ كأن يقول له: " أنا اتفق معك في هذه النقطة لكنّ برأيك هل ممكن أن يكون تحفيز المستثمرين سببا في معالجة مشكلة البطالة مثلا"، وهو بذلك يسايره، ويبحث عن محفزات واعتقادات السامع.

إنّ مشكلة الهوية بحسب كلاين سوزان التي يبحث عنها الشخص المتكلم في مقام المحاججة يتطلب استراتجية خاصة تمكنه من إنتاج حجج تسير وفق العرف؛ المتعارف عليه من جهة، وتحقق في تقديم الصورة الخطابية بالشكل المطلوب، وهذه الاستراتجية عبرت عنها بما يسمى النسق التأويلي/ النسق الإنتاجي(15)؛ ومعنى ذلك أنّ المحاج لا بدّ عليه أن يملك نسقا تأويليا، وظيفته معرفة أهداف هوية الخصم؛ وهذا ليس أمرا هيّنا، يتطلب كفاية تسمح بفكّ شفرات خطاب الخصم؛ لفهمه، والوقوف على دلالته الصريحة والضمنية. والانضمام إلى سياق المحاججة هي مسؤولية الشخص المحاج؛ لأنّ الشخص من منظور برلمان "هو السياق الأكثر قيمة لتقدير معنى وحملة إثبات ما، وخاصة عندما يتعلق الأمر بملفوظات واردة في نسق قد تزيد صرامته أو تقل حيث يمنحها موقعها ودورها في النسق معايير كافية للتأويل"(16).

ثمّ في المرحلة الثانية يدخل المحاج دائرة الإنتاج، فيستعمله علاماته اللغوية وغير اللغوية في الموقف الذي يدافع عنه؛ لذلك يقول برلمان: " إنّ حجاجا محتشما وضعيفا وغير متسق، لا يمكنه إلا أن يضر بالخطيب، بخلاف ذلك فإنّ صرامة الاستدلال ووضوح الأسلوب ونبله تعمل لصالحه"(17).

تصور باتريك شارودو

أمّا الإيتوس من وجهة نظر باتريك شارودو فإنّه يتعلق بصورة المتحدث الذي يمكنه أن يؤثر في المستمِع عبر التطابق المحتمل لهذا مع شخصية الخطيب. فأهمية الإيتوس في تحقيق الإقناع متساوية مع اللوغوس والباتوس. وانطلاقا من هذه الأهمية، فإنّ شارودو يرى أنّ التداول الاجتماعي للخطابات التي تنتمي إلى التواصل السياسي والإشهاري والإعلامي لا تعود إلى الحجج المنطقية الواردة في الخطاب، بل تعود بشكل أقوى إلى الإخراج أو الأداء(18).

وهذا التفسير من شأنه أن يعلي مكانة الإيتوس على اللوغوس، ومن هنا تكمن أهمية الصورة الخطابية للذات في خطابه، أو نجاح تشكل الهوية بحسب تعبير سوزان كلاين؛ لأنّ "الذوات المتحدثة، التي تسعى إلى تحفيز الآخر نحو الفعل أو إلى القول أو التفكير، يحرصون على التأثير الذي تبعثه خطاباتهم أكثر من حرصهم على دقة استدلالهم"(19).

ونجاح الذات المتكلمة في خطابها يحتاج إلى حسن التعامل مع العمليات الذهنية التي يجريها المتكلم، ويمثلها باتريك شارودو في إثارة الإشكال، والتموضع، والتوضيح، والبرهنة. وإثارة الإشكال هدفه إفادة المخاطب، عندما يرى المتكلم تعارض إثباتين، يمثلها باتريك بمسألة " التدخل الإنساني"، فيلزم على المخاطِب أن يوجه سامعه إلى الحدود الفاصلة بين التدخل وعدمه، في منه التدخل في البلاد الأجنبية. وحصول التعارض في الإثبات يلزمها أيضا حسن التموضع إزاء الإشكالية المطروحة، من خلال توضيح الأسباب المتعددة التي تجعل الذات المتكلمة أنّها تقف مع موقف ضدّ موقف آخر. ومن ثمّ تكون أمام مهمة التوضيح واختبار الحجج المناسبة لتحقيق فعل البرهنة(20).

إنّ السياق التواصلي للرجل السياسي هو السياق الإقناعي؛ والذات السياسية من منظور شارودو غير معنية بمسألة الحقيقة؛ بل"أنْ يكون الحقّ في جانبها وبأن تجعل الآخر يتقاسم معها هذا الحقّ"(21)، وعليه، فإنّ الشرط الذي يضعه باتريك لها بأن "تبدو موضع ثقة وأن تقنع أكبر عدد من الأفراد الذين ينبغي لهم أن يتقاسموا بعض القيم"(22).

والعلاقة بين القيم والتصديق علاقة وثيقة جدّا؛ لذا تؤدي القيم دورا حيويّا في عمليات المحاججة؛ لتحقيق أرضية للنقاش، وتبادل الآراء، ومن ثمّ فإنّ الخطيب من منظور بيرلمان يجب عليه المساهمة "في الكشف عن القيم، وخلق وحدة روحية حول القيم المشتركة"(23). ونعتقد أنّ التمثيل لهذه الرؤية يمكننا اسقاطها حول واقع المجتمع الجزائري بعد 22 فبراير 2019، عندما كثرت المجادلة والمحاججة في الفضاء الإعلامي حول السبيل لحلّ المشاكل العالقة، فقد لاحظنا أنّ أكثر الحصص المتلفزة، لم يكن النقاش فيها يدور بشكل جيد، رغم أهمية القيم المشتركة بين الأطراف المتجادلة. ونعتقد أنّ الخلل سببه عدم التفطن لخلق حيوية لهذه القيم، حتى تكون سندا للوصول إلى حوار بناء، يرمي لبناء المجتمع.

وقد أعطى اللسانيون أهمية كبرى للقيم حتى يكون المحاج في وضعية تسمح له بتحقيق الإقناع والتأثير في الآخرين، ولذا يقول بيرلمان: "إنّ الحياة السياسية يفترض، حين تكون شيئا آخر غير قمع الأضعف من قبل الأقوى، اعتناق قيم مشتركة، وتقاليد ومؤسسات

مشتركة، و مصالح مشتركة تستخدم معايير ومقاييس لحل النزاعات سواء في المجال السياسي أو القانوني (...) ينبغي لكل حجاج أن يلجأ إلى هذه القسم المشتركة باعتبارها معايير ومقاييس للحصول على تصديق المستمع"(24) .

وبناء على ما تمّ ذكره فإنّ الصورة التي يظهر بها المحاج لجديرة بالاهتمام لتحقيق أهداف كلّ تواصل، من شأنه أن يسهم في الاقتناع بالفكرة أو التصوّر الذي يحمله المحاج؛ قصد مشاركته من قبل الأطراف المتخاصمة.

ويمكننا أن نجمل بعض الصفات التي نراها ضرورية لتكوين أيّ « إيتوس » في الخطاب السياسي، ونعني بها الصورة الخطابية التي يظهر بها المحاج، وهي:

- لا بدّ أن ينمّ اختيار الحجة على مزية أخلاقية.
- أن يكون مدح الذات مرتبطا بالسياق الخارجي.
- أن يؤدي المقام دوره في تحديد هوية الشخص الخطيب.
- من صفات المحاج تمتعه بالسمعة؛ لإنجاح سياقه التواصلي.
- نجاح المحاج لا يتوقف على قبول حجة الخصم وإنّما الاتفاق يكون حاصلا بين المعتقد والصورة الذاتية.
- على المحاج البحث عن توافق في بداية المحاججة.
- على المحاج أن يحافظ على صورته أثناء المحاججة.
- ضرورة الاستفادة من القيم المشتركة في كلّ فعل حجاجي.
- ضرورة تجنب الحجاج المحتشم الضعيف.
- على المحاج التقيّد بالاستدلال الصارم ووضوح الأسلوب.

ومن هذا المنطلق فإنّ صورة الذات في الخطاب السياسي تؤدي دورا في التأثير إذا أحسن تقديمها في الشكل المفترض اللائق، واحترمت المواصفات التي حددها المختصون، وبالتالي يكون الخطاب إقناعيا، ويكون للحجة الإيتوسية أهيمتها التي ينبغي أن تأخذ بعين الاعتبار، شأن الحجة اللوغوسية والباطوسية.

خاتمة المقال

وبناء على ذلك فإنّ البلاغة يمكنها أن تفيدنا في تحليل الخطابات السياسية ونقدها، وتسمح بفتح زوايا تبقى مظلمة عند المحلّل السياسيّ، الذي بدوره يمكن أن يستفيد كثيرا مما أصبحت تنتجه المقولات الحجاجية؛ لأنّ نقد الخطاب السياسي هو من صلاحية المحلل، يمكن عمله غالبا في إبداء الآراء حول الخطابات التي ينتجها الساسة في مختلف المقامات

وسياقات التواصل، وبالتالي فإنّ هذا النقد يعمل على تكوين هذه الفئة المنخرطة في الحياة السياسية، ويعريّ الأخطاء المرتبكة من قبلهم، ويبيّن لهم أسباب الفشل في أيّ عملية محاججة تخصهم، ويمدهم بالنصائح والتوجيهات التي تسمح لهم بالظهور الطيّب، وأن يكونون صورة خطابية مقبولة تنجح كلّ تواصل لديهم.

الهوامش

1. محمد مشبال (2017): في بلاغة الحجاج، كنوز المعرفة، عمان، ط1، ص 174، نقلا عن باتريك شارودو: الخطاب السياسي، ص .66
2. باتريك شارودو (2009): الحجاج بين النظرية والأسلوب، ترجمة أحمد الودرني، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، ص 21و22 .
3. أرسطو: فنّ الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، ص 29 و 30.
4. قادة بن عمار (2018): وجادلهم، حصة أسبوعية، قناة الشروق نيوز، الجزائر، ديسمبر 2018 .
5. محمد مشبال: مرجع سابق، ص 180 .
6. المرجع نفسه، ص 182.
7. روث أموسي: الحجاج في الخطاب، ص 76، نقلا عن علي الشعبان (2008): الحجاج بين المنوال والمثال: نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري، ، مسكلياني للنشر والتوزيع، ط1، تونس، ص.14
8. ينظر، الحسين بنو هاشم (2014): نظرية الحجاج عند بيرلمان، دار الكتاب الجديد، ليبيا، ط1، ص 75.
9. ينظر، محمد مشبال، المرجع السابق، ص 187 .
10. ينظر، محمد طروس (2005): النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع،ط1 ،ص .147
11. ليلي بوزيدي(2019): الحدث، حصة تلفيزيونية، قناة الشروق، الجزائر، يوم 25 مارس 2019 .
12. هابت حناشي (2019): حوار تلفزيوني مع أبو جرة، قناة الحياة، الجزائر، يوم 09 جانفي 2019 .
13. محمد مشبال: المرجع السابق، ص .197
14. أحمد حفصي (2019): قضية ونقاش، حصة تلفيزيونية، قناة النهار، الجزائر، يوم 26 مارس 2019 .
15. محمد طروس: المرجع السابق، ص .150
16. شاييم برلمان (2018): نحو نظرية فلسفية للحجاج، ترجمة أنوار طاهر، الموقع الالكتروني الحكمة، تاريخ التصفح، يوم 12 ديسمبر 2018 .
17. المرجع نفسه.
18. باتريك شارودو (2015): حول الإقناع في الخطاب السياسي، ترجمة محمد الولي، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، المغرب، ع6، 2015، ص 84
19. نفسه، ص .85
20. نفسه، ص .87
21. المرجع نفسه، ص .89

22. المرجع نفسه، ص 89..
23. شاييم بيرلمان (2015): الخطابية والسياسة، ترجمة الحسين بنوهاشم، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، المغرب، العدد7-8، 2015، ص .211
24. المرجع نفسه، ص 212.

قائمة المصادر والمراجع

01- أرسطو: فنّ الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، (د.ت)، (د.ط).
02- باتريك شارودو (2009): الحجاج بين النظرية والأسلوب، ترجمة أحمد الودرني، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1.
03- باتريك شارودو (2015): حول الإقناع في الخطاب السياسي، ترجمة محمد الولي، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، المغرب، ع6.
04- الحسين بنو هاشم (2014): نظرية الحجاج عند بيرلمان، دار الكتاب الجديد، ليبيا، ط1.
05- شاييم بيرلمان (2015): الخطابية والسياسة، ترجمة الحسين بنوهاشم، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، المغرب، العدد7-8.
06- علي الشعبان (2008): الحجاج بين المنوال والمثال: نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري، ، مسكلياني للنشر والتوزيع، ط1، تونس.
07- محمد طروس (2005): النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع،ط1.
08- محمد مشبال (2017): في بلاغة الحجاج، كنوز المعرفة، عمان، ط1.

الحصص التلفيزيونية

-1- أحمد حفصي (2019): قضية ونقاش، حصة تلفيزيونية، قناة النهار، الجزائر، يوم 26 مارس 2019 .
-2- قادة بن عمار (2018): وجادلهم، حصة أسبوعية، قناة الشروق نيوز، الجزائر، ديسمبر 2018 .
-3- ليلي بوزيدي(2019): الحدث، حصة تلفيزيونية، قناة الشروق، الجزائر، يوم 25 مارس 2019 .
-4- هابت حناشي (2019): حوار تلفزيوني مع أبو جرة، قناة الحياة، الجزائر، يوم 09 جانفي 2019 .